جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة–

السداسي الثاني: السنة الأولى ماستر

المقياس: المجتمع الجزائري وفعالياته - 1

الأستاذة: فهيمة عمريوي

السنة الجامعية 2022–2023.

مقدمة تميزت التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية بالتنوع والتعدد في عناصرها الاجتماعية، فلقد كانت المدن والحواضر الكبرى تتميز باختلاف الانتماءات: الإثنية والجغرافية والدينية وحتى المذهبية على عكس الأرياف التي عرفت نوع من الانسجام. وقد عرفت المدن الكبرى عدة فئات من أتراك عثمانيون وكراغلة وبرانية ويهود ومغاربة وأسرى مسيحيون.

المحاضرة رقم 1 فئة الأتراك بالجزائر أثناء العهد العثماني:

تحتل فئة الأتراك المرتبة الأولى في سلم الترتيب الاجتماعي، وقد وفدوا من مختلف المقاطعات التابعة للدولة العثمانية من أسيا وأوروبا وتميزوا بضآلة عددهم طوال فترة الحكم العثماني بالجزائر فعشية الانضمام قدر عددهم بحوالي 2000 تركي ثم ارتفع نسبيا إلى 5000 تركي حسبما أورده شاو، وفي سنة 1781 قدر القنصل الفرنسي فالبير عددهم ما بين 7000 إلى 8000 تركي. ورغم قلة عددهم إلى أنهم تميزوا بالثراء كونهم احتكروا معظم المناصب السياسية والعسكرية والإدارية منها منصب الدّاي والخزناجي وبيت المالجي أغا العسكر.

وأغلب الأتراك كانوا يشكلون جنود الانكشارية ثم ارتقوا بل واحتكروا المناصب السياسية الهامة وبالتالي فمهمة التركي كانت تبدأ عسكرية وتنتهي سياسية. أقام الانكشاري في الثكنات وعددها ثمانية واقعة كلها في المنطقة السفلى للمدينة وهي دار الإنكشارية باب عزون، المفرئيين، الخراطين وتنقسم إلى بنايتين ثكنة علي باشا وثكنة صالح باشا، الدروج، ودار الإنكشارية الجديدة ودار الإنكشارية القديمة، وثكنة أوسطى موسى. وأقام أخرون في الحصون مثل حصن القصبة، البرج الجديد، وبطارية سيدي رمضان.

أوصولهم

– **الصنف الأول:** ويشمل أتراك الأناضول، والمدن التابعة لها لا سيما: براڤما وبورصة وقاردنيز وتشاشما و أزمير وقونية فقد ورد في أحد السجلات التي اعتمد عليها كولومب في دراسته إلى أن الداي مصطفى باشى أرسل سنة 1215هـ 1803م بعثة لجلب المتطوعين من مدينة أزمير وقد عادة بـ 279 متطوع ، كما أرسل بعثة أخرى إلى تركيا عام 1220هـ 1805م للقيام بالمهمة نفسها و قد خلص إلى نتيجة مفادها أن الأنضول من أهم المناطق التي مولت الجزائر بالمتطوعين حيث كتب ما نصه:

« De toutes les régions de l'empire c'est l'Anatolie qui fournissait la majeure partie de recrutement Algérien.

– **الصنف الثاني:** فيشمل الأتراك غير الأناضوليين المنحدرين من ألبانيا، والبوسنة، وأدرنة، وإسطمبول وجزيرتي رودس وكريت، وهو ما يظهر من خلال أسمائهم الدالة على مواطنهم الأصلية مثل إسطمبولي، رودسلي، الأغرنوطي، كما قدم عدد كبير منهم من المدن المسيحية في حوض المتوسط كفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وآخرون ينحدرون من البلدان التي تعرضت بواخرها للأسر من قبل البحارة الجزائريين وبعد اعتناقهم للإسلام أصبح بإمكانهم الإنخراط في صفوف الجيش، فقد أحصى "تال شوفال" ثلاث جنود من المعتنقين للإسلام من أصل أربعين جنديا في الفترة ما بين 1699– 1701م ، و في الفترة ما بين 1786–1792م بلغ عددهم 7 حالات من بين 90 حالة.

النظام الداخلي للإنكشارية: يعتبر صورة مصغرة عن النظام الداخلي المطبق في المركز يبدأ فيها المجند برتبة يني يولداش أي يولداش جديد تليها الرتب الأخرى وهي كما يلي: ثم أسكي يولداش أي يولداش قديم، وكيل الحرج، أوده باشي، بلكباشي، ياياباشي، الكاهية، الأغا ثم منزول أغا أي أغا متقاعد. وتخضع الترقية من رتبة لأخرى لعدة اعتبارات منها سيرة المجند والأقدمية وغيرها.

الخدمات المدنية للعثمانيون:

لقد شغلت هذه الفئة المجالات الإدارية والسياسية والعسكرية، كما ضمت تجارا وعمالا مارسوا مهنا مختلفة وبصفة عامة فإن العثمانيين عامة وللأتراك احتكروا مناصب هامة الإدارة والمؤسسات العسكرية كما مارسوا الوظائف التجارية والحرفية، حيث امتلكوا عقارات

متنوعة كالبيوت والعلويات والأحواش داخل المدينة وخارجها. ومارسوا حرفا متنوعة كالخياطة والبابوجية والحياكة وصناعة السكاكين وغيرها.

دور العثمانيين في الحياة الاجتماعية.

- كانت اسهامات الأتراك متعددة في المجتمع الجزائري حيث جاؤوا بوسائل شرقية لم تكن موجودة من قبل تخص العادات والمأكولات وأدخلوا بعض الحرف كحرفة البابوجية. كما أثروا في اللغة فوجدت كلمات في اللهجة الجزائرية ذات أصول تركية وقد كتب محمد بن شنب عمل هام عن الموضوع.
- أثر العثمانيون في مجالات أخرى كالموسيقى والآلات المستعملة في ذلك، أما أثروا الفن المعماري وتجسد ذلك في الثكنات والحصون والمساجد المبنية على الطراز العثماني. ويعتبر جامع الجديد واحد من هذه المعالم التي لا تزال قائمة ليومنا هذا.
- ساهموا أيضا في إدخال المذهب الحنفي إلى الجزائر الذي أشرف على عدة مؤسسات وقفية أهمها مؤسسة سبل الخيرات ونظرا للمرونة التي تميز بها في مجال الوقف نجد أنه حتى الأهالي اعتمدوا عليه في هذا النوع من المعاملات وعموما فقد كان هناك تعايش بين هذا المذهب والمذهب المالكي الخاص بالأهالي.
- ساهم الأتراك بشكل كبير في الأوقاف لعدة مؤسسات وقفية وبالتالي ساهموا في ضمان استمرارية تلك المرافق في أداء مهامها الاجتماعية والدينية.
- أثروا في التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري حيث نتج عن زواجهم بالنساء المحليات ظهور فئة الكراغلة التي تعتبر من أهم الفئات الاجتماعية وقتذاك.

المحاضرة 2 فئة الكراغلة بالجزائر أثناء الفترة العثمانية.

الكراغلة هم نتاج زواج أفراد الجيش الإنكشاري بنساء محليات وبالتالي فهم مزدوجي الأصل، وقد تكاثر عدد هذه المجموعة مع مرور السنين نتيجة ارتباطها المتزايد بالعنصر المحلي، كان ويعود ظهورها كفئة متميزة بمجتمع مدينة الجزائر إلى حوالي 1596. فما هو وضع هذه الفئة ضمن التركيبة الاجتماعية بالجزائر خلال الفترة العثمانية؟ وما علاقتها بالسلطة الحاكمة؟

يندرج الكراغلة ضمن الفئات المهيمنة على اعتبار انتماءهم من ناحية الأبوة للعثمانيين الذين احتكروا السلطة والمناصب السياسية والعسكرية الهامة على المستوى المركزي والمحلي.

تمردت هذه الفئة عدة مرات على النظام أهمها سنة 1629 أي في عهد الباشوات بسب سياسة الإقصاء التي انتهجها الآباء اتجاه الأبناء وحرمانهم من الوصول إلى المراتب السياسية والعسكرية العليا. حيث اجتمع عدد من القدماء من الانكشارية العزاب أو الزبنطوط كما أطلق عليهم للنظر في قضية التجنيد، وقرروا في هذا الاجتماع اقصاء وطرد العنصر المحلي والكراغلة من صفوف الانكشارية بحجة أن وجودهم داخل صفوف الانكشارية يخل بنظام الانكشارية وقد يؤدي إلى انفصال الجزائر عن الدولة العثمانية. وافقت بقية الانكشارية على رأيهم وهكذا طرد كل الجزائريين بما في ذلك الكراغلة من صفوف الانكشارية ومن مدينة الجزائر أيضا. بعد مرور بضعة أشهر رجع البعض من الكراغلة إلى مدينة الجزائر وبدءو يتصلون بالمقربين من السلطة لإقناع الانكشارية بالرجوع إلى صفوفهم، وأدى هذا الوضع إلى خوف الانكشارية من تأليب سكان المدينة ضدها واحتجزت كل الكراغلة الذين دخلوا مدينة الجزائر بغير إذن ورمت بهم في البحر حسب بعض الروايات. هذا ما جعلهم يصممون على الرجوع لمدينة الجزائر من أجل الانتقام وتم ذلك بعد مرور ثلاث سنوات أي سنة 1633 فتمكنوا من التسلل إلى القصبة وقتلوا حراس النوبة، إلا أن محاولتهم هذه باءت بالفشل لأن الانكشارية قاموا بغلق كل أبواب المدينة وحاصروهم وتذكر بعض الروايات أن الكراغلة أضرموا النيران في أجسامهم لأنهم كانوا أمام مخزن البارود وذاك تفاديا للوقوع في قبضة الانكشارية والتنكيل بهم.

استقر الكراغلة بعد طردهم من مدينة الجزائر في عدة مناطق نذكر منها وادي الزيتون بالأخضرية وتلمسان والمدية وغيرها.

تغيرت علاقة الانكشارية بأبنائهم بداية من منتصف القرن السابع عشر حيث صدرت وثيقة عهد الأمان عام 1656 في عهد أخر الباشوات " إبراهيم باشا" وقد حددت هذه الوثيقة صلاحيات الجيش لتدخله المتزايد في السلطة، كما جاء ليضع حدا للضغينة والحقد المتواجد بين الآباء والأبناء وتجسد هذا التغيير بشكل واضح في القرن الثامن عشر. ومما ورد في وثيقة عهد الأمان بخصوص وضع الكراغلة ما يلي " ليكن في علم إخواننا الانكشارية

وأبناءنا الكراغلة أن معظمهم سيبقى في الخدمة إلى سن الأربعين أو الخمسين أو الستين أي إلى سن الشيخوخة".... " وابتداء من اليوم فكل ما حدث ولو بين الأب والابن قد نسي وعفي عنه"... وفي الأمر دلالة على احتواء هذه فئة.

المهام التي مارسها الكراغلة

مارس الكراغلة العديد من المهام الإدارية والعسكرية والاقتصادية فمن الناحية الإدارية استطاعت بعض العناصر الكرغلية بفضل موقعها وامتيازاتها أن تصل إلى بعض المناصب العالية في السلطة و قيادة البايلك، نذكر منها أحمد الباي الذي كان أخر بايات قسنطينة من سنة 1826 إلى غاية سقوط قسنطينة في أيدي الاحتلال الفرنسي سنة 1837. كما تربعت بعض العائلات الكرغلية على حكم بايلك الغرب كعائلة المسراتي المتمثلة في عائلة الباي مصطفى بن يوسف المسراتي بوشلاغم وعائلة محي الدين المسراتي الذي شغل منصب خليفة في عهد بوشلاغم وابنه مصطفي الأحمر المسراتي الذي عينه والده محي الدين بايا على المنطقة الغربية و حكم في الفترة الممتدّة ما بين 1738- 1748، كما سيطرت عائلة كرغلية أخري على الحكم وذلك ابتداء من عهد الباي محمد بن عثمان الكبير أي من 1779-1830. إنّ وصول هذه المجموعة من الكراغلة إلى مراتب عليا في السلطة على مستوى بايلك الغرب لا يعني أنّ جلّهم كانوا يتمتعون بنفس الحقوق التي كان يتمتع بها الاتراك العثمانيون، بل كان الحكم المركزي يرى فيهم مساعدين وأعوانا لإدارته، وبالتالي يمكن القول أن فئة الكراغلة أدت دور الوساطة بين الفئة الحاكمة وبقية السكان، وهذه الأدوار ناجمة عن ارتباطاتها وانتماءاتها.

حظي الكراغلة بامتيازات مادية جعلت منهم فئة حضرية ثرية ذات ممتلكات عقارية سواء بالمدن الكبرى أو بالاحواز إضافة إلي ممارسة مهن ووظائف مختلفة. فامتلكوا الأراضي الزراعية الخصبة واشتغلوا بالتجارة وقد منحت لهم عدة تسهيلا في هذا المجال ونذكر منهم الكرغلي حمدان بن عثمان خوجة الذي امتلك عقارات شاسعة بسهول متيجة. كما مارسوا الحرف منها البابوجية، الخياطة، السبساجية أو بيع التبغ والقنداقجية وغيرها من الحرف.

المحاضرة 3: فئة الحضر

الحضر أو البلدية هم كل من ولد بالمدينة وتحتل هذه الفئة مكانة عددية معتبرة إذ قدر عددهم تال شوفال بـ 60 إلى 65 من مجموع السكان، ويمكن تصنيفهم إلى ثلاث مجموعات المجموعة الأولى وتتكون من العناصر الأصلية وتعود إلى الفتح الإسلامي للمغرب والمعطيات بشأنه قليلة جدا، وتتكون المجموعة الثانية من الوافدين من مختلف المدن الجزائرية الكبرى مثل شرشال البليدة القليعة. أما المجموعة الثالثة فتتشكل من العنصر الأندلسي الذي يعتبر من أهم العناصر المشكلة لفئة الحضر نظراً لمكانتها العددية مقارنة بالمجموعتين السابق ذكرهما. حدث اندماج بين هذه المجموعات الثلاثة نظرا للتشابه الكبير في العادات والتقاليد. وعاش الحضر عموما ضمن الفئة الميسورة الحال ومصدر ثروتهم تمثل في ممارسة النشاط التجاري والحرف المختلفة مثل والنسيج، والخياطة والحدادة، غير أنهم ابعدوا من المناصب السياسية.

نذكر الجالية الأندلسية التي توافدت على المنطقة إثر قرارات الطرد واستقرت بجل المدن الساحلية والحواضر (القليعة، البليدة، شرشال، مدينة الجزائر، معسكر مازونة، تلمسان، مستغانم...) وذلك ابتداء من نهاية القرن 15، كما تواصلت في توافدها على المنطقة طيلة القرن 16 و17م وتعتبر الجالية الأندلسية على رأس قائمة الجاليات، وذلك نتيجة ارتفاع عددها وأهميتها في التركيبة الاجتماعية.

الأنشطة الممارسة من طرف الحضر:

اهتم الحضر بممارسة عدة مهام منها اعتماد السلطة عليهم في تولي الوظائف الخاصة بتسيير المدينة نذكر منها منصب شيخ البلد، ومنصب نقابة الأشراف الذي تولته عدة عائلات محلية أشهرها عائلة الشريف الزهار. كما أشرفوا نظارة أوقاف الحرمين التي تقاسمها الأندلسيون مع الأتراك وكما أشرفوا على أوقاف بعض المساجد. وفي المجال الاقتصادي فإن مساهمتهم لم تقتصر على ممارسة الحرف بل تولوا أمانة بعضها كما أوكلت لهم تولي منصب أمين الأمناء وتعد عائلة الشويهد الأندلسية من أهم من تولاه ويتم تعيين أمين الأمناء من الداي حيث يكون يتولى مختلف القضايا الخاصة بالحرف ويتضمن مخطوط قانون الأسواق معطيات هامة عن دور الأمين وهامه.

النشاط الزراعي من فلاحة وتربية المواشي فامتلك البعض منهم جناين ورقع أرضية وأحواش بفحوص مدينة الجزائر وأوطانها وأيضا في البايلك والأرياف التابعة له. وقد قام الاندلسين بدور هام في تطوير الزراعة في الجزائر ومختلف الايالات العثمانية التي حلوا بها، فاستصلحوا الأراضي ومد صهاريج المياه وادخال تقنيات حديثة في مجال الري واستغلال المياه.

عمل الأندلسيون على تزويد الأسواق بمختلف الخضر والفواكه وتحسين نوعيتها أيضا كما أدخلوا بعض الفواكه من كرز وليمون والتوت بنوعيه الأبيض والأسود ونظرا لكثرة انتاج التوت ذكر دفتر التشريفات وجود مسؤول عن هذه المادة يعرف بقائد التوت كما أدخلوا أنواعا من الزهور منها الياسمين واستعملت في صنع العطور. كما اهتموا بتربية الحيوانات من مواشي وأبقار.

امتلك الحضر ومنهم الأندلسيون دكاكين مارسوا بها عدة حرف أهمها الخياطة النجارة، العطارة، الحدادة والدباغة والطرز الذي اشتهروا به كما أدخلوا الشاشية التي انتشر إنتاجها واستعمالها في الجزائر حتى أصبح لها سوق خاص يعرف بسوق الشواشين كما وجد بمدينة القليعة سوق مخصص لهذه الصنعة اشتهرت به بشكل خاص عائلة لبوناطيرو ووجدت أيضا أسواق مماثلة على مستوى البايلك منها قسنطينة.

مارس الحضر التجارة والمهن الحرة كما مارس مارسوا الجهاد البحري وبرعوا بشكل خاص في حرفة البناء حيث تفيض وثائق المحاكم الشرعية خاصة المرافعات إلى المجلس العلمي بأسماء البنائين من أصول أندلسية ليس هذا فحسب بل احتكروا أمانة هذه الحرفة كما تولتها في أواخر الفترة العثمانية بعض العائلات المحلية منها عائلة الحمزاوي.

ساهم الحضر مساهمة فعالة في الأوقاف حيث اسسوا عدة وقفيات عبارة عن جناين ورقع أرضية ودكاكين استفادت منها عدة مؤسسات خيرية منها فقراء الحرمين الشريفين، وفقراء الأندلس، والمساجد المالكية بل وامتدت مساهمتهم لتشمل مؤسسة سبل الخيرات التي أسسها الأتراك وهي مؤسسة تعنى بأوقاف 12 مسجد تابع للمذهب الحنفي.

المحاضرة رقم 4. فئة البرانية بالجزائر أثناء العهد العثماني.

يعتبر تحسين الوضع المادي أهم الأسباب التي دفعت بالوافدين إلى الهجرة نحوى المدن الكبرى لتوفرها على فرص للعيش وهنا نأخذ ثلاث نماذج برز فيها هذا التوافد وهي مدينة الجزائر باعتبارها المدينة التي اختارها العثمانيون لتكون عاصمة الإيالة وبالتالي تحولت من مدينة صغيرة إلى الجزائر المحروسة التي أظهرت قوتها في مختلف الجوانب، أما المدينة الثانية فهي قسنطينة التي أصبحت عاصمة بايلك الشرق.

قبل التعرض لمختلف الفئات البرانية الوافدة للمدن الكبرى نتوقف عند مصطلح البرانية. البرانية مفردها براني أي الوافدون من مناطق مختلفة إلى المدن الكبرى وبالتالي فالبراني هو الغريب عن المدينة وتجدر الملاحظة إلى أن هذا المصطلح غير وارد في الوثائق الشرعية (وثائق المحاكم الشرعية، سجلات بيت المال، دفاتر البايلك).

ضمت فئة البرانية مصنفة حسب أصولها الجغرافية إلى سبع فئات وهم الجيجليون، والمزابيون، والبساكرة، والقبايل، والأغواطيون، وبني عباس وأهل مزيتة وفيما يلي عرض لكل فئة.

الجواجلة: يُعتبر الجواجلة أول من تعامل مع الأتراك في الجزائر حين سمحوا لعروج وخير الدين بربروس بإقامة قاعدة عسكرية في جيجل لتحرير بجاية من أيدي الإسبان. وقدِ قدموا إلى مدينة الجزائر سنة 1516م رفقة الأخوة بربروس عقب استنجاد أهل مدينة الجزائر بهم، ومنذئذ حظيت هذه الفئة بمكانة خاصة لدى العثمانيون. حيث كانت لهم عدة امتيازات. فهم الفئة الوحيدة المخول لها الركوب على الحصان، وحمل السلاح، وارتداء اللباس المطرز بالذهب، وكان بإمكانهم العراك مع الأتراك والزواج بالنساء التركيات.

أما عن الحرف والصنائع التي مارسوها فكانت متعددة أشهرها تحضير الخبز لمختلف الفئات السكانية بما في ذلك الجيش الانكشاري والعبيد، كما امتلكوا الكوشات حتى غدت هذه الأخيرة معلماً لتحديد أماكن تواجد بعض الأملاك حيث نقرأ في الوثائق الشرعية" دار قريبة من كوشة الجيجلية" "حانوت أسفل كوشة الجيجلية" وغيرها، كما مارسوا مهاماً أخرى كالتجارة، والنشاط البحري حيث تمكن العديد منهم الوصول إلى رتبة الرايس. إضافة إلى حرف أخرى مثل الحرارة، والمقايسة مما أدى إلى ثراء العديد من عناصر هذه الجماعة، وتجسد ذلك في امتلاكهم للعبيد، والمنازل الفاخرة وعقارات أخرى بمدينة الجزائر وفحوصها.

ورغم ذلك فثراء جماعة الجواجلة يبقى متواضعاً إذا ما قُرن مع متوسط ثروات المدنيين في الفترة العثمانية.

-**بني ميزاب:** استقر بنو ميزاب في المناطق الجنوبية من وادي ميزاب ومدنها وهي غرداية بني يسقن ومليكة وبريان والعاتق والقرارة وبونورة). أما قدومهم إلى مدينة الجزائر فقد كان سابقاً لسنة 1541م مثلما هو مبين في رسالة وجهها أمين بني ميزاب وجماعته إلى السلطات الفرنسية في 23 صفر 1251هـ/29 ماي 1835م يطالبونها برد الاعتبار لجماعتهم. وبينت الرسالة أن جماعة بني ميزاب تمتعت بعدة امتيازات بعد صنيعها في صد حملة شارلكان، ومن هذه الامتيازات اعتراف السلطة الحاكمة باستقلالية جماعة بني ميزاب سواء المتواجدين في مدينة الجزائر أو في مدن أخرى مثل عنابة ووهران، بحيث لا يخضعون إلا لأمينهم الذي يتولى تسيير شؤون الجماعة، كما احتكروا إدارة الحمامات، وتشير وثائق أخرى إلى أن هذه الجماعة احتكرت إدارة أفران والمطاحن.

كما امتلكوا القصابات والمطاحن والعديد من الدكاكين التي ماسوا فيها أنشطة اقتصادية مختلفة مثل الخياطة وصناعة الحصائر وبيع الخضر والفواكه، وزيادة على ذلك اشتهروا بممارستهم للتجارة فهم الوكلاء المعترف بهم والوسطاء في التجارة مع داخل إفريقيا، بحيث يستوردون إلى الجزائر العبيد والتبر وريش النعام والجمال والتمر، مقابل البضائع المصنوعة محلياً.

البساكرة: ينتمي البسكريون إلى المناطق الجنوبية الواقعة على أطراف الصحراء وهي الزيبان ووادي ريغ، ووادي سوف، وتقرت، وقد قدِم عدد هام منهم إلى مدينة الجزائر للبحث مصادر العيش، وتعاطى البساكرة بمدينة الجزائر مختلف الأعمال الشاقة، مثل الحمَالة والعتَالة، والخدمة في المنازل، وجمع القمامات، وتصريف مجاري المياه، وحفر الآبار، وحمل المياه إلى المنازل، كما مارس البعض بيع الخضر والفواكه والشربات والسبساجية، واشتغل البعض الآخر في الأفران وعجن الخبز. كما اشتغلوا بالحمامات كطيابين. واستخدمتهم السلطة دون غيرهم من الفئات البرانية في حراسة الغنائم ومراقبة شوارع المدينة وأبوابها الداخلية خاصة أثناء الليل، ومهمة حراسة الدكاكين، وفي حالة تعرضها للنهب فهم ملزمون بتعويض الخسائر، ومنهم يقوم الداي باختيار موظف في القصر يعرف بالبسكري سيدنا، وتتمثل

مهمته الأساسية في خدمة الداي وحراسته. ويرى شالر بأنهم من أهدأ العناصر وأنهم قوم مسالمون ومخلصون بشكل كبير".

الأغواطيون: عددهم قليل قياسا بالعناصر الوافدة من الجنوب ولم يصبح توافدهم بشكل أهمية نسبية إلا في العشرية من 1817-1826.

القبايل: كان وضعهم أقل لأهمية كما أن إقامة غالبيتهم كانت بصفة مؤقتة لا تتجاوز ستة أشهر ثم يعودون إلى مناطقهم الأصلية، امتهنوا الأعمال الوضيعة مثل: الحمالة، والعتالة، والحراسة الليلية وهي حرف لم تكن تذر أموالا معتبرة على أصحابها، وإنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن التمايز في مستوى الثروة موجود حتى داخل الفئة نفسها. كما وفدت عناصر أخرى من بني عباس ومزيته ويظهر أن عددها كان قليلا. ونجد أيضا جماعة القبالة المتميزة هي الأخرى بقلة عددها.

وعلى غرار مدينة الجزائر عرفت مدن أخرى توافد البرانية من المناطق المجاورة مثل قسنطينة عاصمة بايلك الشرق حيث وصل عدد البرانية فيها إلى 5000 شخص ويتكونون من سكان القادمين من الريف والمدن الصغرى بالبايلك وكان نزوحهم قصد تحسين أوضاعهم المادية أيضا، ومن بينهم بني ميزاب الذين عملوا في المطاحن والمخابز وامتلكوا الحمامات والقصابات وهي نفس الحرف التي مارسوها في مدينة الجزائر، كما استقطبت البساكرة، والجواجلة الذين اختصوا في صناعة الخبز للانكشارية، وقدمت عناصر أخرى من بلاد القبائل والأغواط وكذلك السوافة الذين قصدوا التل ومارسوا مهن بسيطة وغير مربحة كالحمالة وحفر الأبار والسقاية. وعموما فإن الهجرة إلى قسنطينة كانت كبيرة خاصة مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، أما من حيث الوضع المادي للبرانية فقد أوضحت دراسة حول الانكشارية خاصة بقسنطينة أن فئة البرانية تمثل الطبقة الأكبر عدداً والأقل ثروة.

كما عرفت حواضر بايلك الغرب مثل معسكر ووهران وتلمسان ومازونة توافد عدد من البرانية امتهنوا

يمكن القول من خلال المهام الممارسة من قبل البرانية أن هذه الأخيرة شكلت فئة خزانا بشريا لليد العاملة في مختلف الأنشطة الحضرية سواء التجارية أو الحرفية أو الأشغال العمومية، وكانت فترات الاستقرار وإنجاز المشاريع العمرانية والاقتصادية تساهم في جلب

عدد هام من البرانية وذلك قصد الانشغال بهذه المشاريع ففي عهد الباي محمد الكبير قام بإنجاز مشاريع عمرانية واقتصادية هامة ساهمت في جلب عدد هام من اليد العاملة، كما وجدت هذه الأخيرة في هذه الإنجازات مصدرا للكسب والثروة.

- **التنظيم الهيكلي لفئة البرانية:**

مع نهاية القرن السادس عشر أصبح هؤلاء الوافدين مهيكلين في شكل جماعات حسب أصولهم، كما إرتبطت كل طائفة من هذه الجماعة بأعمال معينة وكان على رأس كل جماعة أمين يمثلها عند الدّاي. بخصوص تسيير جماعة الجواجلة فقد انفردوا عن غيرهم من الجماعات البرانية الأخرى بوجود أمينين، الأول أمين الجواجلة الذي يُعينه الداي ويهتم بتسيير شؤون الجماعة بشكل عام. أما الثاني فهو خاص بالكواشين وتتمثل مهمته في تمثيل الخبازين الجواجلة لدى الأمين. وبالنسبة لباقى الجماعات لها أمين واحد مع وجود اختلاف بالنسبة لجماعة القبايل عن خضوعها لسلطة الأمين.

يتم تعيين الأمين من طرف الداي وأسندت إليه عدة مهام منها:

- ضبط وتسيير شؤون جماعته والمسؤول عنها إمام السلطة.
- وتحمل ما يرتكبه أفراد جماعته من مخالفات.
- امتدت مسؤولية الأمناء لتشمل العناصر المقيمة في المدن الأخرى مثلما هو الحال بالنسبة لبني ميزاب.
- الفصل في الخلافات القائمة
- تحقيق التكافل والتآزر الاجتماعي بتقديم المساعدة للفقراء والمعوزين.

ويساعد الأمناء في مهامهم عدة أعوان منهم شواش مهمتهم تنفيذ الأحكام، وقد انفردت جماعة بني ميزاب بخاصية تتمثل في أنه إضافة إلى الشواش توجد هيئتان تساعد الأمين في مهامه هيئة المقدمين المهتمة بالقضاء، وهيئة العلماء المهتمة بتسجيل العقود وفصل النزاعات.

وعموما فإن فئة البرانية غالبا ما عرفت بأنها فئة مهمشة وتعتبر دائما دخيلة، فجل من يتناولون تصنيف الفئات الاجتماعية للمدينة يقسمونها إلى فئتين: فئة مستقرة وهي فئة الحضر وفئة دخيلة وهي فئة البرانية وهي الفئة التي تعيش من مدخول مردود عملها وشكلت يد عاملة لخدمات مختلفة.

المحاضرة 5: فئة اليهود بالجزائر أثناء العهد العثماني.

نتناول في هذا الموضوع عدة عناصر تتمثل في الهجرات اليهودية إلى الجزائر، وعددهم، وضعهم الاجتماعي في ظل الحكم العثماني، الهيكل التنظيمي لليهود، أماكن إقامتهم بالجزائر، ودورهم الاقتصادي.

1-الهجرات اليهودية:

تعد طائفة اليهود أهم ملة مؤثرة في الجزائر ومدنها الكبرى خلال الفترة العثمانية، وتعود أولى هجرات اليهود إلى شمال إفريقيا سنة 717 ق م، وتبعتها هجرات يهودية أخرى إلى مدينة الجزائر أثناء الاحتلال الروماني لإفريقيا، واستمرت هجرات اليهود نحوى المغرب في الفترة الوسيطة، وفي هذه المرحلة أصبح لزاماً على اليهود دفع الجزية باعتبارهم من أهل الذمة مقابل أمنهم وسلامتهم وحريتهم في القيام بشعائرهم الدينية.

وحدثت هجرات يهودية في 1287م على إثر فتح جزر البليار وارتبطت هذه الهجرة بحروب الاسترداد، تلتها عدة هجرات يهودية قادمة من مختلف دول ومماليك أوروبا في نهاية العصور الوسطى، حيث جاء عدد منهم إلى الجزائر مثل هجرة يهود إيطاليا سنة 1342 والأراضي المنخفضة سنة 1350م وهجرة يهود فرنسا سنة 1403م ويهود إنجلترا سنة 1422م. وكان للإضطهادات التي سلطتها اسبانيا على اليهود دورا كبيرا في ازدياد هجراتهم للمغرب خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م ففي هذه السنة شهدت الجزائر هجرة يهودية اسبانية، أما في سنة 1496م فقد عرفت هجرة برتغالية. كما صاحب الهجرة الأندلسية خلال القرن السابع عشر عدة هجرات يهودية نتيجة الاضطهاد الذي تعرض له المسلمون من طرف الملك الإسباني فليب الثاني في إطار قرارات التنصير (1609-1614). كما قدمت هجرات يهودية أخرى من ليفرون خلال القرن الثامن عشر فقد يهود ليفورن وكانوا اغلبهم تجار ا.

2-عددهم:

قبل التعرض لعدد اليهود يجب الإشارة إلى أنه من الصعب تقديم إحصاء دقيق لعدد السكان في الجزائر أثناء العهد العثماني فما بالنا إذا تعلق الأمر بفئة معينة ويعود ذلك لعدة أمور منها: عدم تقدم علم الإحصاء في تلك الفترة وحتى الدولة العثمانية لم تقم بأي إحصاء

للسكان إلا في عهد محمود الثاني وحتى هذا الإحصاء لم يكن دقيقا بحيث شمل منطقة الأناضول دون غيرها من المناطق العثمانية كما اقتصر على إحصاء الذكور دون الإناث.

لنعود إلى اليهود من المعروف عن اليهود أنهم لا يصرحون بعددهم الحقيقي تهربا من دفع الضرائب، غير أن بعض الكتابات الأجنبية أشارت إلى ذلك فقد وصل عددهم 5000 ألاف يهودي بمدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر، وفي سنة 1725م بـ 15000 نسمة، وفي 1789م بـ انخفض عددهم إلى 7000 نسمة، واستمر العدد في الانخفاض حيث وصل إلى مابين 1822-1830 حيث وصل إلى 5000 يهودي.

3-أوضاع الاجتماعية لليهود أثناء الحكم العثماني:

عاش اليهود في يسر بمدينة الجزائر ومدنها الكبرى كتلمسان وقسنطينة وغيرها وازدادت أوضاعهم تحسنا بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية، فقد مارسوا شعائرهم الدينية وأنشطتهم الاقتصادية بكل حرية فكانت لهم محكمة خاصة وقضاء الخاص ومنحت لهم الحرية في التنقل والإقامة، وامتازت فئة اليهود عن غيرها بعدم قابليتهم للإسترقاق والعكس صحيح إذ يحق لليهود امتلاك العبيد بشرط أن لا يكون العبد مسلما، وإضافة إلى هذه الحقوق كان على اليهود واجبات تمثلت في دفع الجزية، وكان عليهم أيضاً دفع ضعف الضريبة التي يدفعها التجار الآخرون فيما يتعلق بالبضائع الداخلة من خارج البلاد. وكان لزاماً على اليهود لبس الأبيض والأسود من الألوان ولا يسمح لليهود حمل السلاح والعصي والركوب على الأحصنة. وعموما فان اليهود لم يكونوا كلهم تجار بل كانوا على مستويات مختلفة من الثراء فنجد ثلاث طبقات.

- طبقة غنية تضم كبار التجار والملاك وأغلبهم من اليهود ذوي الأصول الأوروبية خاصة يهود ليفرون.

طبقة متوسطة تضم التجار الصغار وبعض الباعة والحرفيون والتجار والوسطاء إضافة إلى فئات تحترف مهنا بسيطة.

- طبقة فقيرة تضم الحرفيين والباعة المتجولون وينتمون بشكل خاص لليهود الذين قدموا من إسبانيا إضافة إلى وجود نسبة ضمن هذه الفئة الأخيرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى من تجار وحرفيين.

الهيكل التنظيمي للطائفة اليهودية:

كان اليهود في الجزائر منظمين ومهيكلين في تسيير شؤونها الداخلية بنفسها وهذا في إطار ما منحه الإسلام لأهل الكتاب منهم اليهود، فقد خضعوا لنظام الملل الذي انطبق على أهل الذمة في كل الولايات العثمانية:

يترأس الطائفة اليهودية شخص من أبناء الطائفة يعرف بمقدم اليهود يعينه فكان من طرف الداي، وتتمثل مهامه في النظر في مختلف القضايا الخاصة بالطائفة، والمسؤول عن الضرائب اتجاه السلطة، وتعيين جل الموظفين والحاخامات، ويساعد المقدم في مهامه مجلس الطائفة اليهودية الذي يتألف من 4 أشخاص يختارهم المقدم. ومن الذين تولوا منصب مقدم اليهود نذكر حييم بوشعرة سنة 1754م ثم خلفه يعقوب بن براهم. وفي سنة 1799م تولاه حلبي بن يعقوب، وفي أواخر الفترة العثمانية أصبح المنصب في أيدي العائلات الثرية كبوجناح ودوران وبكري. ومن الوظائف الأخرى لطائفة اليهود نجد الكزبار أي تنظيم وتسيير المعابد ومختلف الأعمال الخيرية كتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين اليهود، ومن الوظائف الأخرى نذكر وظيفة الكاباي والشابر اللتان تختصان بدفن وتأبين الموتى وإعداد مراسم الزواج. أما المؤسسة الدينية فكانت محكمة التسيير يمثلها كبير الحاخامات ومجموعة من المساعديه. وكان لليهود محاكمهم الخاصة وأشهر العائلات التي تولت القضاء نذكر عائلة معطي ومرتخاي وبن شالوم.

سمحت السلطة للطائفة اليهودية بتأسيس المدارس الخاصة بهم حيث يتم تدريس اللغة العبرية والتعليم الديني ومبادئ الحساب وكان التعليم في المدارس يتم بإشراف رجال الدين.

4-أماكن إقامة اليهود:

تجمع اليهود في مساكن وحارات عرفت باسمهم مثل حارة اليهود أو حي اليهود الذي قدم له وليام شالر وصفا دقيقا بقوله " له طرق ضيقة ومظلمة ويوجد به مذبح تتصاعد منه روائح كريهة وهذا المكان وحده يكفي بانتشار الطاعون"، كما سكنا قرب الجنينة وباب الوادي ومسيد الدالية وزنقة البوزة وغيرها. تمركزوا أيضا بحواضر بايلك الغرب، فلقد كانت لهم أحياء خاصة بهم، حيث عرفت مدينة مستغانم ومعسكر

جالية يهودية معتبرة، بلغت نسبتها بمدينة مستغانم خلال القرن الثمن عشر ما بين 17 إلى 18% من مجموع السكان.

بلغت نسبة اليهود بمدينة ندرومة 15% من العدد الإجمالي للسكان وكان عدد الجالية اليهودية في تلمسان هاما مقارنة بالمدن الأخري تمركزت هذه الجالية عبر أحياء عرفتها هذه الحواضر وعلى سبيل المثال نشير إلى حي اليهود بمدينة تلمسان والذي كان يقع وسط المدينة بين الحي الرسمي وحي الحضر؛ وحي اليهود بمدينة مستغانم والمسمى بدرب اليهود والذي كان يقع بالقرب من الحي الأستقراطي وبجوار مقر الحاكم وعرفت المدن الأخرى هي أيضا هذه الأحياء أي كل من معسكر ومازونة، وندرومة. كما عرف بايلك الشرق تمركز هام للجالية اليهودية فقد كان لهم بعاصمة البايلك حي يعرف باسمهم، كما كانت لهم أحياء في القل وعنابة والقالة.

5-المهام التي مارسها اليهود

- **الأنشطة الاقتصادية:** ساهم اليهود في تفعيل الجانب الاقتصادي وقد ساعدهم على ذلك حرية التنقل والإقامة واختار المهن التي يرغبون في ممارستها. فبرزوا في الحرف والتجارة ومن المهن التي احتكرها اليهود نجد صناعة الذهب والفضة (الصاغة) ففي مدينة الجزائر ماسوا هذه الحرفة في سوق الصاغة الذي يعتبر من الأسواق الرئيسية، ونجدها في مدن أخرى كقسنطينة وتلمسان، كما احتكروا السمسرة وصك العملة وهنا يذكر شالر في مذكراته أن السلطة لا توظف سوى اليهود لصك العملة، والخياطة حيث كانوا يخيطون ملابس الانكشارية بسعر ثابت مفروض من السلطة، كما ماسوا حرف أخرى منها العطارة، القزازة، والدخاخنية والقاوقجية أي صناعة السكاكين،. وبرز دورهم أيضا في كراء العديد من العقارات العائدة إلى مؤسسات وقفية خاصة مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين وأغلب العقارات كانت عبارة عن حوانيت واقعة بسوق الصاغة وأخرى موزعة في المنطقة السفلى بوجه خاص.
- **النشاط التجاري:** تعتبر التجارة من أهم مصادر الثروة عند اليهود وقد أهلهم لممارستها خبرتهم بالمبادلات التجارية مع مختلف الدول خاصة المسيحية منها، وبذلك كان اليهود الوسطاء التجاريين بين العالمين الأوروبي والإسلامي ورغم قدم

الشركات الفرنسية في الجزائر نتيجة الامتيازات التي حصلوا عليها إلا أن هذه الشركات عانت كثيرا من منافسة التجار اليهود لهم.

كما كسب اليهود ثروات طائلة من فدية الأسرى المسيحيين بالجزائر، وهيمنوا على عملتي الاستيراد والتصدير وحسب العديد من المراسلات فقد كانت بيدهم تجارة مواد مختلفة كالحبوب، الجلود، والشمع، كما اشتهروا باستثمار أموالهم في القرض بفائدة وقد تعدى ذلك المستوى الداخلي ليشمل تقدم قروضاً مالية للدول مقابل فوائد ضخمة وهو ما زاد من تغلغلهم وتنفذهم في الجزائر ومدنها الهامة. وقد برز تنفذهم بشكل خاص في نهاية العهد العثماني حيث كانت المبادلات التجارية مع ليفرون ومرسيليا تتم بوساطة اليهود ممثلين في شركتي بكري وبوشناق وبذلك احتكروا التجارة. وهذا بطبيعة الحال أثر سلبا على السكان وعدم السماح للتجار المحليين بالبروز.

ومارس اليهود أيضا تجارة القوافل بين المدن الجزائرية والمناطق الصحراوية حيث يجلبون كل ما يحتاجه السكان، فكانوا يوفرون الأقمشة لسكان المناطق الصحراوية مقابل وريش النعام والجلود والتبر.

- **النشاط السياسي:**

أدرك اليهود قوتهم أثناء مرحلة الضعف السياسي وتدخلوا في النزاع بين أمراء المغرب وحكام الجزائر وصار لهم نفوذ في دواليب السلطة مما أحدث تذمر في أوساط الأهالي خاصة التجار المسلمين الذين أدركوا خطورة هذا الوضع واستياء الفقهاء والعلماء منهم محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قاد حملة في منطقة توات ضد التميز الذي حظيت به هذه الفئة في أرض الإسلام، وألف بذلك كتاب عنوانه " ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار".

ومن المهم التوضيح هنا أن تدخل كبار اليهود في السلطة لم يكن في أواخر العهد العثماني فحسب بل كان حتى في الفترات الأولى ففي سنة 1680 توسط أحد يهود الجزائر لصالح الهولنديين لدى الداي محمد التريكي ولدى بابا حسن، وفي سنة 1762م كان اليهودي جاكوب بوشارة وسيطا في الصلح بين الجزائر والبندقية، ليبرز دورهم أكثر مع نهاية القرن الثامن عشر نذكر منها قيام نفتالي وبوشناق، حيث كانوا

يتدخلون في تنصيب وعزل الحكام، كما تدخلوا في السياسة الخارجية للبلاد، وعندما تأزمت العلاقات بين الجزائر وانجلترا سنة 1800م تدخل بوشناق ووضع حدا للصراع الذي كاد أن يؤدي إلى حرب بين الطرفين، ومن مظاهر تدخل اليهود في السياسة أن بوشناق أصبح يستقبل قناصل الدول الأجنبية ويستلم الهدايا منهم باسم الداي، كما كان يتفاوض معهم فيما يخص المعاهدات الصلح مثل تفاوضه باسم الجزائر مع فرنسا سنة 1801م وأيضا في الصلح بين الجزائر والبرتغال سنة 1803م. كما تسببوا في الاستعمار الفرنسي على الجزائر.

وأدى هذا التنفذ إلى سخط الأهالي على اليهود خاصة بعد أن تعاملوا بالربا ورفع أسعار المنتوجات وبيع البضائع الفاسدة وتصدير القمح إلى البلدان الأوروبية أهمها فرنسا. وعلى أثر هذا قام الجيش الانكشاري والأهالي بثورة عنيفة ضد اليهود سنة 1805م انتهت بمقتل الداي مصطفى باشا لتواطئه وتعامله مع اليهود، كما قتل بوجناح وحوالي مائة من يهود الجزائر، ونتيجة لهذه الحادثة غادر العديد من اليهود الجزائر، حيث هاجرت 100 عائلة يهودية إلى تونس و200 عائلة إلى ليفرونة بإيطاليا.

وبعد سنة أي في 1806م تم اعتقال الوسيط التجاري دافييد بكري نظرا لأنه للاشتباه في تحقيقه أرباحا طائلة في تصدير الحبوب منذ 1792م.

ومما سبق يتبين أن فئة اليهود أدت دورا مهما في مدينة الجزائر ومختلف مدنها التي أقاموا بها كقسنطينة وتلمسان وعنابة وغيرها.

المحاضرة رقم 6 الدخلاء الأسرى الأوروبيون

الدخلاء تشمل فئة الدخلاء عناصر قادمة من خارج الإيالة وتشمل اليهود الذين تعرضنا لهم في المحاضرة السابقة، وتشمل أيضا الأوروبيين من مسيحيين وأسرى والذي سنتعرض له في هذه المحاضرة.

يمكن تصنيف الأوروبيين الذين تواجدوا في الجزائر خلال الفترة العثمانية إلى المسيحيون الأحرار وتشمل التجار والقناصل وموظفي القنصليات ووكلاء المؤسسات التجارية المتواجدة في بايلك الشرق، أما الفئة الثانية فتشمل الأسرى وتعود أصولهم إلى دول أوروبية مختلفة وبعضهم لأمريكا ومن حيث عددهم لم يكن مستقرا بل ارتبط بطبيعة علاقات

الجزائر بالدول الأوروبية ومدى قوة الأسطول. مثلا خلال القرن 17م وصل عددهم إلى 35 ألف أسير وخلال القرن 18م لم يتجاوز عددهم 3 ألاف أسير ويعود هذا التراجع لعدة أسباب أهمها تراجع قوة الأسطول والأوبئة التي عرفتها الفترة وأودت بحياة الكثيرة منهم. كما ارتفع عددهم مرة أخرى في الربع الأول من القرن التاسع عشر بفضل الانتعاش الذي عرفه الأسطول بقيادة الريس حميدو. ثم تراجع عددهم من جديد من 1815- 1830 بفعل ازدياد التنافس الفرنسي الانجليزي على الجزائر خلال هذه الفترة، وقرارات مؤتمر فينا واكسلا شابيل حول إلغاء القرصنة.

من المهم الإشارة أيضا إلى أنه تم افتداء العديد من الأسرى من قبل بلدانهم كما احتوت كل معاهدات الصلح المبرمة بين الجزائر والدول الأوروبية على بنود خاصة بالأسرى.

بالنسبة للفئة الأولى عددها كان ضئيلا ومرتبط بالعلاقات مع الدول الأوروبية

أما الفئة الثانية فتتمثل في الأسرى منهم من بقي على دينه ومنهم من أسلم وهذا الصنف يسمى بالمهتدين أو الأعلاج أي أنها كلمة تطلق على المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام. وارتبط عددهم بقوة النشاط البحري فخلال عهد البايلربات تمكن العديد منهم من الوصول إلى السلطة منهم حسن فنزيانو، وحسن أغا الذي الذي صد حملة شارلكان سنة 1541م، وأخر البايلربات علج على الذي خدم الجزائر والدولة العثمانية على السواء لما تم تعينه أميرا للبحر وتمكن في ظرف قياسي من تجديد الاسطول العثماني بعد معركة ليبانت. ففي القرن السابع عشر تزايد عددهم باعتبار أن هذا القرن يمثل العصر الذهبي للبحرية، وتعود أصولهم إلى جزيرة كورسيكا والبندقية وغيرها، ورغم هذا فان نجاح عدد من العلوج في الى مناصب السلطة وتحقيق ثروات كبيرة ل نعممه على كل أفراد هذه الفئة فأغلبيتهم من الفئات الدنيا والوسطى في المجتمع. أما خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر فقد انخفض عددهم انخفاضا ملحوظا.

المهن التي مارسها الأوروبيين: اشتغلت الفئة الأولى بشكل خاص في التجارة بشكل خاص أما الأسرى فقد امتهنوا بيع المياه وحملها للبيوت، وبخصوص الأعلاج فقد كان لهم دور بارز في الغزو البحري خلال العصر الذهبي للبحرية ولعل أشهرهم الرايس علي بتشين الذي يعد من الأثرياء وشملت ثروته عقارات متنوعة من أحواش ودور ودكاكين وقصران والجواهر فضلا عن امتلاكه 550 أسير. وامتهن المهتدون حرفا متنوعة منها النجارة والبناء.

المحاضرة رقم 7: عـلاقـات السـلطـة بسكـان الأريـاف

يمثل الريف 95% من المجتمع السكاني في الجزائر وهي نسبة كبيرة مقارنة بسكان المدن، أما من حيث علاقتهم بالسلطة فيمكن تقسيمهم إلى:

- **قبائل المخزن:** صنفها الباحث أرزقي شويتام إلى ثلاث مجموعات وهي: القبائل المحلية العريقة الممتلكة للأراضي الخصبة الواقعة في التل والقريبة من المدن، والمجموعة الثانية وتضم القبائل التي شكلها الأتراك من عناصر غير متجانسة. أما المجموعة الأخيرة فتتكون من بعض القبائل الممتنعة أو المستقلة التي أرغمت عن طريق القوة للدخول ضمن قبائل المخزن، وتجدر الإشارة إلى أن قبائل المخزن ليست قوية لأنها ثرية وإنما لأنها تمثل الأتراك في الريف، فهي إذن قوة محلية تمثل النظام ومقسمة على أراضي شاسعة وتنتفع من خيرات الأرياف ومعفية من وضع الضرائب ما عدى الزكاة و العشور، وفي المقابل تقدم الخدمات للنظام كتوفير الرجال لتدعيم الجيش، وتوفير العلف للحيوانات، والحراسة وضمان راحة المحلة العسكرية عند خروجها لجمع الضرائب. كما أنها تساهم في إخماد بعض التمردات في الأرياف: فهي بذلك تقوم بكل الأدوار. وعموما فإن قبائل المخزن ساهمت بشكل كبير في إخضاع سكان الأرياف.
- **القبائل الممتنعة (شبه المستقلة):** وهي ممتنعة عن الخضوع للنظام ودفع الضرائب، وتواجدت في أعالي الجبال الصحاري إذ سمحت وعور تضاريسها بأن تكون مستقلة عن السلطة وهي في أغلب الأحيان في حرب ضد قبائل المخزن، وتضطر السلطة في المركز لإخراج فرق من الجيش لإخضاع هذه التمردات. وتجدر الإشارة إلى أن أكبر الجماعات الممتنعة متواجدة في بايلك الشرق المتميز ببعده عن مركز السلطة وكثرة قبائله. أما بايلك الغرب فيعد الأكثر خضوعا للسلطة وقد يرجع ذلك إلى وجود العدو المشترك وهو الاحتلال الإسباني.
- **الأسر القوية والكبيرة أو القبائل الأحلاف** مثل: أسرة من حبيلس، أسرة بوعكاز، بن قان في الزيبان وبسكرة فهي قبائل قوية لها المال والأراضي فتحالفت مع النظام وتصاهرت أحيانا معه، مثلما حدث لـ حسن بن خير الدين وعلي بتشين مع أل

القاضي وأحمد باي مع عائلة بن قانة. وقد استعانت الدولة بهذه الأسر في إخماد بعض الثورات مثل ثورة ابن الأحرش.

– **الأسرة الدينية أو المرابطة:** هناك نوع من العلاقات بين النظام وهذه الأسر، نجدها على رأس القبائل ودورها الوساطة بين النظام والقبائل الثائرة، وكم من أسرة مرابطيّة توصلت بمهارتها إلى جلب بعض القبائل الثائرة وتحويلها إلى قبائل مساندة عن طريق الشيوخ. وقد حصل المرابطون على امتيازات قدمتها لهم السلطة مقابل خدماتهم وللحفاظ على ودهم وولائهم لهم. ومهما يكن فإن السلطة لجأت في كثير من الأحيان إلى العنف لإخضاع القبائل الممتنعة مما زاد في توتر العلاقة بين الحكام والمحكومين.

إدارة الأرياف:

قسم البايلك إداريا إلى مقاطعات كبيرة تعرف بالأوطان، والتي تنقسم بدورها إلى قبائل وعروش ودواوير، وعين على رأس كل هذه المقاطعات قياد وشيوخ، أمّا الجهاز الإداري فإنّه يتكوّن من القايد يعينه الباي على رأس مجموعة من الأوطان، وكانت تربطه علاقة مباشرة بالباي، فهو في الغالب ما يكون تركي الأصل أو كرغلي، ويمكن أن يكون من أصل عربي. وعموما، فإن القياد كانوا يحكمون الأوطان بواسطة الشيوخ المعينين على القبائل والدوائر وبذلك فهم الوسطاء الفعليين بين الأهالي والإدارة.

العلاقة السائدة بين الفئات الاجتماعية.

تمثلت العلاقة بين السلطة والأرياف في عدة مظاهر منها: الضرائب إذ يتم جمعها من طرف المحلة وبواسطتها يتم إخضاع المناطق البعيدة عن مركز الحكم، وبالتالي توسيع مناطق سلطة الدولة، ويبدو أن اختيار فصل الربيع لخروج الأمحّال لم يكن بمحض الصدفة بل هو يصادف موسم الحصاد حيث يستقر الفلاحون في مناطقهم لجني المحاصيل بدل الانتقال لمناطق أخرى تفادياً لدفع الضرائب وبهذه الطريقة ضمن الجُباة تحصيلها من أكبر نسبة من السكان. ومن بين الضرائب المفروضة نجد ضريبة المعونة والعسة التي كانت تدفعها المناطق الصجراوية.

قامت المَحلات بغارات ضد القبائل الرافضة لدفع الضرائب، فأغا محلة التيطري مثلا شن غارة على القبائل المجاورة غنم خلالها ثمانمائة جمل وألفي خروف، وفي محلة الشرق ذكر بايصونال (Peyssonnel) أن الباي كان يُوّزع الجنود الأتراك على المُخيمات ويعطيهم

معلومات عن القبائل المراد تأديبها، وعموما فإن أن العثمانيون لم يهتموا فقط بتنظيم جيش المحلة بل اهتموا أيضا بوضع قوانين تضبط نظام الضرائب تبعاً للإمكانيات الاقتصادية لكل منطقة. وفي حالة وجود تجاوزات فهي راجعة بشكل خاص للموظفين المكلفين بعملية جمع الضرائب، مما انعكس سلباً على أساليب التسيير، وحرمان الخزينة من جزء معتبر من الموارد المالية، وهو ما أدى في أغلب الحالات إلى توتر العلاقة بين السلطة والسكان.

أما عن علاقة الهيئة الدينية ممثلة في العلماء والمرابطين وشيوخ الزوايا بالفئة الحاكمة وباقي السكان فقد مرت بمرحلتين: مرحلة التحالف الذي فرضه وجود العدو المشترك وهو الاحتلال الإسباني لوهران وفيها استفادت السلطة من علاقتها المتميزة بالهيئة الدينية في تدعيم مركزها في الأرياف ظهر هذا التوافق في المصالح في رسالة أهالي مدينة الجزائر للاستنجاد بالدولة العثمانية حيث استهلت الرسالة بعدة رتب دينية ومما جاء فيها " رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والتجار والأعيان وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة" وحث قانون عهد الأمان على ضرورة إتباع الهيئة الدينية حيث جاء فيه " يوجد في بعض المناطق رجال صالحون هم المرابطون يجب أن يحظوا بالاحترام اللائق، وآراؤهم تتبع حرفيا ذلك أن الله يتقبل صلواتهم ودعواتهم من أجلكم لذلك افتحوا أعينكم لنصائحهم الحكيمة...".

وبعد 1792م جاءت المرحلة الثانية وهي مرحلة القطيعة بين الطرفين حيث تناقضت فيها مصالح الطرفين بسبب زوال العدو المشترك وكثرة الضرائب المفروضة على السكان وأصبحت كل فئة تريد أن يكون لها نفوذ أوسع. فقامت عدة ثورات محلية تزعمتها الطرق الصوفية منها ثورة الشريف الدرقاوي في الغرب، ثورة ابن الأحرش في الشرق ورغم أن هذه الثورات لم تقضي على النظام العثماني حيث ساهم هذا الأخير في إخمادها عن طريق قبائل المخزن وسياسة الترغيب والتهريب، إلا أنها ساهمت بشكل كبير في انهياره فيما بعد. فهذا الصراع أدّى إلى إصطدام المصالح المتمثلة في توسيع مصادر الثروة أي امتلاك الأرض الخصبة خاصة.

ومنه فقد أدت الهيئة الدينية وظائف هامة وعن طريقها أنجزت أهم قرارات المجتمع، حيث كثيرا ما استخدمت السلطة أهل القلم من أجل أن تعطي لقراراتها وسلطتها الصبغة الأخلاقية والقانونية. كما تستخدمت أهل السيف (الفئة المخزنية) من أجل السيادة والسلطة.

ومن مظاهر العلاقة أيضا وجود تفاعل سياسي بين القبائل الممتنعة والسلطة، فالقبائل الممتنعة واقعة أغلبها في المناطق الجبلية والصحاري ونظرا لضعف إنتاجها الزراعي فقد رفضت دفع الضرائب لهذا عملت السلطة على تحويل بعض القبائل الممتنعة إلى قبائل مخزنية وإجبارها بدفع ضريبة رمزية تعبيرا عن خضوعها للسلطة.

وتجدر الإشارة إلى أن السلطة اتبعت في مختلف مراحلها أهل السيف أي الفئة المخزنية من أجل بسط نفوذها. كما أن السياسة التي انتهجها العثمانيين ساهمت إلى حد كبير في وجود تفاعل سياسي بين سكان الريف والسلطة فهذه الأخيرة أبقت على النظم الموروثة في المجتمع الريفي كشيخ القبيلة. وبذلك استمر الحكم العثماني فترة بعدد قليل من الجنود.

وتجسد التفاعل في المجال الاقتصادي في كون المجتمع الريفي مجتمع فلاحي بالدرجة الأولى لذلك اعتمدت عليه السلطة في التزود بالإنتاج الزراعي والحيواني سواء في شكل ضرائب يدفعها سكان الريف أو عن طريق منح أجود الأراضي للفئة الحاكمة والقبائل الخاضعة لها مثل المخزن، الزمالة، الدوابر وبالتالي تستفيد من الإنتاج.

إنّ العلاقات التي سادت واتصفت بها هذه التّركيبة الاجتماعية وطبعتها، كانت نتيجة عوامل وأسباب متعددة عملت على تحديدها ونذكر منها: الفوارق الاجتماعية والإقتصادية حيث حددت هذه الأخيرة شكل العلاقات وخلقت علاقات تضامن مبنية على أسس مصالح ما بين الفئات ومن هذه المصالح نذكر أن التّجار والحرفيين كانت رفاهيتهم تتوقف أساسا على الاستقرار السياسي للفئة الحاكمة، حيث تبعية التجار والحرفيين لسلطة السياسة ميزت وطبعت العلاقات التي سادت بين الفئة الحاكمة والفئة الحضرية. وبذلك فإنّ الفئة الحضرية كانت تابعة وخاضعة لنفوذ الفئة الحاكمة. وبصفة عامة فإن الفئة الحضرية المغاربية لم تكن فئة مستقلة تظهر كطرف منافس وقوي في وجه السلطة الحاكمة وهذا ما أشارت إليه أعمال الباحث وجيه كوثراني.

ورغم إن الفئة الحضرية كانت تراقب بنفسها قضاياها من خلال المهام المختلفة التي أوكلت لها كمنصب شيخ البلد، والأمين، ومنصب أمين الأمناء فقد بقيت تحت سيطرة السلطة المركزية بطرق شتّى منها الضرائب واحتكار السلطة.

لقد كانت فئة الحرفيين تنشط تحت احتكار فئة التجار، وكانت مجموعة التجار الكبار تتحكم في النشاطات سواء الحرفية أو التجارية، لكن هذه الفئة كانت دوما تابعة لرجال السلطة ولا تستطيع الاستغناء عن هذه التّبعية، بل كانت غير قادرة على إقامة سلطتها السياسية، وممارسة التجارة في حد ذاتها خاصة عندما تكون هامة تتطلب حماية من أصحاب السلطة السياسية وهيمنة السلطة على النشاطات الاقتصادية ميزة طبعت هذا المجال الحضري.

أما العلاقة مع اليهود فقد كانت مميزة أيضا مع الفئة الحاكمة نظرا للمصالح الموجودة بين الطرفين ومن أبرز الأمثلة عن عهد الداي مصطفى باشا وعموما فقد استغلوا نفوذهم في التدخل في القضايا السياسية. أما علاقتهم بعامة السكان فقد تعاملوا معهم اقتصاديا لكن ازدياد احتكارهم للمال والتجارة جعل الأهالي يثورون ضدهم.

إنّ مختلف العلاقات التي تحكمت في التّركيبة الاجتماعية حددتها الفوارق الاقتصادية والاجتماعية ووضعت هذه الفوارق الخطوط العريضة لهذه العلاقات وعملت على ظهور نظام معقد للعلاقات يسوده التضامن والمصلحة، حيث المصالح المشتركة كثيرا ما دعمت العلاقات الاجتماعية وتناقضها كثيرا ما عمق الهوة بين الفئات الاجتماعية.

أمّا بقية العلاقات ونقصد بها تلك التي سادت بين الفئة الحاكمة والفئة الوسطى وفئة العامة، فقد كان يحددها الاستغلال والتسخير لأنّ شرائح هذه الفئة كانت في خدمة الفئات الأخرى فاستغلت السلطة صفت الأمانة والإخلاص عند البسكريين فأوكلت لهم مهمة مراقبة شوارع المدينة والحراسة الليلية ومنهم يقوم الداي باختيار موظف في القصر يعرف بالبسكري سيدنا، من أجل خدمة الداي وحراسته.

ونظرا للثقة التي وضعتها في الجواجلة أوكلت إليهم مهمة تحضير الخبز للإنكشارية كما أن موقف الجواجلة من الإخوة بربروسة في جيجل ساهم إلى حد كبير في التمتع بالامتيازات السابق ذكرها.

المصادر والمراجع الخاصة بالمقياس.

- أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ/1754-1830م**، ط2، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
- الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1990م.
- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتحقيق وتعريب العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، 2005م.
- عبد الله محمد بن الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/ 1695-1705م**، تقديم وتحقيق وتعليق ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار- الجزائر، 2014م.
- وليام شالر، **مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/ 1519-1830**، دار الكتاب العربي، القبة- الجزائر، 2009.
- فتيحة لواليش، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب خلال القرن 18م**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.
- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية**، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، رويبة-الجزائر، 2012.
- فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر هجري من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998م.
- جميلة معاشي، **الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 1428-1429هـ/2007-2008م.
- جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)**، ديوان المطبوعات الجامعية.

- محمد أمين، "**ملاحظات حول سياسة التهميش ووضع المهمشين بولاية الجزائر العثمانية**"، العائلة والمهمشون في العالم العثماني النساء والأطفال والفقراء، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، أوت 2002
- عائشة غطاس، "**الوافدون "البرانية" على مدينة الجزائر**"، أعمال المؤتمر التاسع للدراسات العثمانية حول العائلة والمهمشون في العالم العثماني: النساء والأطفال والفقراء، أعمال المؤتمر التاسع للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، أوت 2002
- نجوى طوبال، **يهود مدينة الجزئر خلال عهد الدايات 1700- 1830م من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، منشورات سيدي نايل، 2009.
- رحمونة بليل، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830**، دار القدس العربي، وهران، 2017.
- جمال قنان، **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830** المؤسسة الوطنية للكتاب،
- وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
- المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع**، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.
- جون بول وولف، **الجزائر وأوربا 1500-1830**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- Pierre Boyer, **La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française**, Paris, Hachette, 1966.
- Claude Antoine Rozet, **Voyage dans la Régence d'Alger, ou description du pays occupé par l'Armée française en Afrique contenant des observations sur la géographie physique, la géologie, la météorologie, l'histoire naturelle**, etc., Arthus Bertrand, Libraire éditeur, Paris, 1833.
- Tal Shuval, **La ville d'Alger vers la fin du XVIII^e siècle population et cadre urbain**, Paris, CNRS, 1998.
- Fatiha Loualich, **La famille à Alger XVIIe et XVIIIe siècles Parenté, alliances et patrimoine**, Média-Plus, Constantine, 2017.
- Jean Michal Venture de Paradis**, Tunis et Alger au XVIII siècle,** Mémoires et observations rassemblées et présentés par Joseph Cuoq, Ed Sindbad, Paris, 1983.
- Albert Devoulx, **Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger**, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852.

- Diego Haëdo, **Topographie et histoire générale d'Alger**, Traduction de Dr. Monnereau et A.Berbrugger, présentation de Jocelyne Dakhlia, Paris,Ed Bouchène, 1998.
- Eisenbeth, « **Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque 1516-1830 »** Revue africaine, 1952.
-Laugier de Tassy, **Histoire du Royaume d'Alger avec l'Etat présent de son gouvernement, de ses forces de Terre et de Mer, de ses revenus, police, Justice, politique et commerce**, Ed Loysel, Paris, 1992
- Houari Touati, **« Les corporations de métiers à Alger à l'époque ottomane»**, Revue d'Histoire Maghrébine, n°47-48, 1987.
Emanuel D'Aranda, **Relation de la captivité et liberté du sieur Emanuel D'Aranda Jadis esclave à Alger ou se trouvent plusieurs particularités de l'Afrique, divers de remarque**. Ed 4, Leyde, 1671.
- Pierre Dan, **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**, T2, Ed, Rocodet, Paris, 1637.
- Joâo Mascarenhas**, Esclave à Alger, récit de captivité de Joâo Mascarenhas (1621-1626),** Traduit du Portugais, annoté et présenté par Paul Teyssier, Paris Chandeigne, 1993.
- Jean André Peyssonnel, **Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger**, présentation et notes de Lucette Valensi, Ed La Découverte, Paris, 1987.
- Pierre Boyer, « **Contribution a l'étude de la politique religieuse des turcs dans la Régence d'Alger (XVI-XIX siècle) »,** Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n° 1, 1966, pp.11-49.